

ية حول العالم

خدّام لكنّها ترفض زعامته عليها



البعث والمؤسسات الأمنية) عبر التخلّص من بشار والدائرة المحيطة به. في المقابل، يقول أحد المقرّبين جداً من النظام إنّ خدام يقامر ولا يحظى بمساندة من الجيش لإعداد انقلاب ما. ويقول أحد رجال النظام الآخرين إنّ خدام يببالغ بتقدير حجمه؛ فهو لا يستطيع فعل أي شيء داخل سوريا؛ لأنّه لا مناصرين له.

وفي وثيقة تعود لـ30 آذار 2006 (06DAMASCUS1433) يرى أحد المعارضين أنّه يجب على الحكومة السورية ألا تقلق من جبهة الخلاص الوطني؛ لأنّ خدام وصدر الدين البيانوني (المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا) مكروهان من قسم كبير من الشعب السوري. وأضاف أنّه إذا رغب خدام في قيادة المعارضة، فستكون الحركة فاشلة وفاقداً للصدقية.

وتنقل برقية أخرى تعود لـ13 نيسان 2006 (06DAMASCUS1692) لقاءً بين موظفين في السفارة ومن تسميهم «زعميين سنيين». الزعيمان يريان أنّ خدام هو أداة جيدة لإضعاف النظام. ويقولان إنهما نصحا من يعرفونهم من المعارضة بعدم انتقادهم، مهما كانت تحفظاتهم عليه. ويؤكد أحد الزعميين أنّ خدام لديه مناصرون كثر بين السنة السوريين.

وتتناول برقية أخرى مؤرخة في اليوم نفسه (06DAMASCUS1698) حدوث اجتماع للمعارضين من «إعلان دمشق» في 6 نيسان 2006، وأنّ الاجتماع تمحور حول التوصل إلى قرار بشأن الموقف من جبهة الخلاص الوطني، وإذا كان يجب على الإخوان المسلمين أن يبقوا من موقعي إعلان دمشق. اتفق معظم المجتمعين، وفق بعض من حضروا الاجتماع، على ترك الجبهة لشأنها. واتفق المجتمعون على أنّه ما دامت الجبهة غير معارضة لمواقف الإعلان، فلا ضرورة للوقوف ضدها. وقرروا الإعلان أنّه لا صلة تجمع الجبهة بهم، لكن من دون الهجوم عليها. لكن كان هناك قسم من موقعي إعلان دمشق ممن اصروا على طرد البيانوني بسبب تحالفه

النظام، أي ماهر الأسد وأصف شوكت، وهي كيف يمكن نظاماً توتاليتارياً أن يعمل مع وجود فراغ مماثل في وسطه؟ ويضيف المعارض أنّ هجمات خدام عززت قوّة المعارضة في الداخل؛ لأنّه تكلم عليها بإيجابية وتبنى برنامجها. عزز ذلك، برأي المعارض، وضع المعارضة في الداخل، وقد يدفع النظام إلى التواصل معها في الأسابيع المقبلة. ويقول المعارض إنّ انشقاق خدام خدم المعارضة السورية في أميركا، فهي كانت تخاف من وصفها بالعميلة لوشنطن. وفي التعليق على البرقية، يقول القائم بالأعمال الأميركي، ستيفن سبيتس، إنّّه يؤيد تقويم المعارض القائل إنّ تصريحات خدام خدمت المعارضة في الداخل، لكنّه يضيف أنّه لا يعرف إن أدى ذلك إلى تقوية المعارضة أو لا. ويقول إنّ الإفراج عن المعارض

رياض سيف وأربعة من المعارضين في 18 كانون الثاني، قد يكون رداً من النظام على خدام كي لا يستميل المعارضة إلى جانبه، وبعض الشعب السوري. ويضيف سبيتس أنّ الإفراج المبكر عن سيف يشير إلى أنّ خدام أزعج النظام. ويستمر اهتمام البعثة الأميركية بخدام في شهر شباط، فتحدث برقية في الثاني منه (06DAMASCUS392) عن النقاش الدائر

حول نائب الرئيس المنشق داخل سوريا. ويقول أحد المسؤولين السابقين في النظام إنّ خدام كان في ليلته الأخيرة في سوريا يلعب الورق مع أصدقائه. وينقل إلى السفارة سؤالاً من رجال النظام السابقين في عهد الرئيس السابق حافظ الأسد، فهم يريدون أن يعرفوا إذا كانت واشنطن تريد بقاء بشار في منصبه، أو لا.

في 27 آذار 2006 (06DAMASCUS1357) التقى موظفون في السفارة عدداً من السوريين، معارضين ورجالا في النظام، وتناول الحديث عبد الحليم خدام أيضاً. ويقول أحد المعارضين إنّ رفض الانضمام إلى جبهة الخلاص الوطني التي أسسها خدام مع الإخوان المسلمين، لكنّه رفض المقابل شجع وجود الجبهة، لكنّه رفض أن يقود خدام المعارضة. ويرى المعارض أنّ مبادرة الجبهة تتضمن خطاين: الأول هو تجاوز مسألة الجنسية للأكراد والمطالبة بحقوقهم الثقافية كاملة، ما قد يشجعهم على الاستقلال، وقد يثير مشاكل مع العرب. ثانياً، لا توضح المبادرة مساندة خدام للديموقراطية في سوريا. وتنقل البرقية لقاءً مع نائب سوري سابق قال إنّ خدام لديه تأييد بين العلويين الذين كانوا عماد نظام الأسد الأب. ويضيف أنّ هؤلاء يؤمنون بأنّه لا مستقبل للعلويين مع بشار. معارض آخر يرى أنّ تحالف الإخوان المسلمين مع خدام سيؤيّد للإسلاميين داخل سوريا؛ فنائب الرئيس السابق يرفض حتى اليوم تحمّل مسؤولياته في جرائم النظام. فسجل انتهاكاته يعود إلى ترؤسه محافظة حماة في الستينيات، وتحديدًا في 1964 حين حصل أول قمع للإخوان المسلمين. ويضيف هذا المعارض: «إذا أراد قيادتنا يجب أن يعترف بمسؤوليته أولاً». موضوع يوافق عليه معارض آخر قال إنّ خدام يبدو طموحاً من خلال تصريحاته، وإنّه إن أراد قيادة المعارضة «فلدينا وسائل لإفشال مسعاه إن حاول». ويتساءل هذا المعارض عن الأسباب التي دفعت الإخوان المسلمين إلى التحالف مع خدام، وعمّا إذا كان خدام يعدّ لانقلاب. وينتقد الجبهة (الخلاص) لأنّها قسمت المعارضة. ويخاف هذا المعارض من أن يكون خدام يريد إنقاذ النظام (حزب

المعارضة في وثيقة مؤرخة في 3 كانون الأول 2006 (06DAMASCUS349)، فيقول أحد المعارضين إنّ عبد الحليم خدام هو شوكة في خاصرة نظام بشار الأسد، لأنّ لديه القدرة على أن يتحدث، عن معرفة، عن فساد الدائرة الضيقة، فضلاً عن أن حديثه يغري بعض السنة. لكن يضيف المعارض أنّ خدام ملوث بفساده الشخصي، وارتباطه الطويل بنظام حافظ الأسد. ويرى أنّ خدام ليس مقبولاً من جماعة «إعلان دمشق» للتعاون معه، حتى لو لم يكونوا يوجهون النقد العلني إليه.

وفي برقية صدرت بعد ذلك بأيام، في 13 كانون الأول 2006 (06DAMASCUS399) تشرح السفارة وضع نظام الأسد ونقاط قوته ونقاط ضعفه. من هذه النقاط ما تسميه البرقية «عامل خدام»: فهذا الأخير يعرف خفايا النظام وأسراره، ما يثير حنق بشار، بما لا يتناسب ومقدار شعبية خدام داخل سوريا. وتضيف البرقية أنّ بشار الأسد يتابع هو شخصياً، ونظامه عموماً، كل معلومة خبرية عن خدام باهتمام بالغ. وينصرف النظام بغضب مؤدّب له، كلما استضافت دولة عربية خدام أو سمحت له بأن يعطي تصريحاً عبر وسائل إعلامها. وتضيف البرقية أنّه يجب الاستمرار في تشجيع السعوديين وغيرهم على السماح لخدام بأن يستخدم وسائل إعلامهم، ما يعطيه مساحة للكشف عن غسيل الحكومة السورية الوسخ. تقول البرقية إنّ «يجب أن نستيق رد فعل مبالغاً فيه من النظام، سيزيد من عزله بين جيرانه العرب». وتضيف أنّه يجب تشجيع الحلفاء الإقليميين مثل السعودية ومصر، على اللقاء بخدام ورفعته الأسد، لإرسال إشارات تفيد في الإعداد لانقلاب ما، مع تسريب بعض ما دار في تلك الاجتماعات لاحقاً.

بعد عام 2006، يخف الاهتمام الأميركي بخدام، فلا تعود أسئلتهم إلى الجميع بشأنه، لازمة متكررة في جميع الاجتماعات. لكن لا ينسى موظفو السفارة سؤال أي معارض يلتقونه عنه. وهذا ما حصل في البرقية المؤرخة في 25 تشرين الثاني 2008 (08DAMASCUS842)؛ إذ يرد أحد المعارضين على سؤال عن قدرة جبهة الخلاص الوطني على أن تمثل حلقاً هاماً في النشاط السياسي، ويقول: «هم خارج البلاد، ماذا يستطيعون أن يفعلوا دون الناس في الداخل؟». وفي وثيقة تعود إلى 11 آذار 2009 (09DAMASCUS5185) تلتقي القائمة بالأعمال مورا كونيلى (السفيرة في لبنان حالياً) أحد المعارضين الذي يخبرها بأنّ خدام هرب من سوريا في 2005 لخوفه من سقوط النظام، ولأنّه «شخص يرغب في أن يكون في الجانب الآمن»، ولأنّه اعتقد أنّه سيحظى بمناصرين في حال سقوط النظام، وهو على مسافة منه. ويقول المعارض إنّ عدداً من البعثيين كانوا يفكرون بالطريقة نفسها، لذلك حثوا على اعتماد إصلاحات اقتصادية وسياسية في مؤتمر الحزب في 2005. وينقل هذا المعارض عن أنه، إثر حرب غزة، بدأت المشاكل داخل جبهة الخلاص الوطني بسبب رغبة الإخوان المسلمين في أن تدين الجبهة العملية الإسرائيلية بنحو أقوى وتساند حماس، الأمر الذي رفضه خدام. تسال السفارة المعارض عن قدرة خدام على أداء دور في معارضة الأسد، فيجيب بأنّ «الجبهة مهمة، وخدام كان فاسداً، لكن هناك مئة ألف شخص مثله في سوريا».

الداخلية، لكن مستوى تأييده في الداخل يبقى خاضعاً للتخمين، في الوقت الذي يقول فيه البعض إنّه يكتسب شعبية، فيما يقلل آخرون من أهميته.

ويستمر الحديث عن خدام في برقية أخرى أرسلت في 18 نيسان 2006 (06DAMASCUS1754)، فيقول بعض المعارضين الذين التقتهم السفارة إنّ تحالف خدام مع الإخوان المسلمين عبر جبهة الخلاص الوطني لا يفيد كثيراً بسبب ارتباطه القديم بنظام الأسد، فهو كان خادماً للمطيع، إلى جانب فساده المعروف على نطاق واسع. ويشير هؤلاء إلى أنّه لا ينتقد حكم حافظ الأسد، بل فقط بشار، ولم يعتذر عن خدمته النظام لفترة طويلة. لكن المعارضة تراه أداة لإضعاف النظام. وقال آخرون إنّ خدام لا يريد إطاحة النظام، بل عائلة الأسد فقط، مع الاحتفاظ بالجيش وحزب البعث والقوى الأمنية. وينقل أحد المسؤولين السابقين أنّ خدام يحصل تدريجاً على شعبية بين السنة في مدن خارج دمشق.

ويحظى بشعبية بين بعض البعثيين والعلويين، وفي ضمنهم أشخاص بارزون في الدائرة المحيطة بحافظ الأسد سابقاً. وتنقل البرقية أنّ اعتراضات الحكومة السورية لدى السعودية أثرت؛ إذ لم يظهر خدام على العربية منذ نهاية كانون الأول 2005. وتتناول البرقية التي تجيب عن أسئلة طرحتها وزارة الخارجية الأميركية على بعثتها في دمشق، العلاقة بين خدام والبيانوني والإخوان المسلمين. وتقول إنّ خدام رغم كونه من رجال النظام سابقاً، لكن له علاقات مع بعض الفصائل الإسلامية، ومنها تلك التي تتعاطف مع الإخوان. وتشير البرقية إلى أنّ السفارة ليست على اتصال بأي شخص مقرب من الطرفين، فهي تعتمد على ما ينقله إليها المعارضون. وتنقل برقية تعود إلى 24 نيسان 2006 أنّ الحكومة السورية بدأت تسمح ببعض المظاهر الإسلامية، خوفاً من حصول خدام على تأييد في الأوساط السنية. وتعود السفارة إلى مصادرها في

يؤكد بعض المعارضين السوريين في الداخل عدم صفحهم عن خدام وجرائمه

سافر عدد من البعثيين الإصلاحيين إلى فرنسا في خريف 2005، والتقوا خدام هناك

مع خدام. ووفق أحد المعارضين، كان هناك سخط بينهم بسبب عدم إخطار الإخوان موقعي «إعلان دمشق» مسبقاً بالتحالف مع خدام، وكذلك عدم اعتذار هذا الأخير عن خدمته الطويلة لنظام البعث. ورأى بعض المعارضين أنّ «إعلان دمشق» سيكون في وضع أفضل إذا بقي موقفه مبهماً من خدام والجبهة. ويقول أحدهم إنّ لو كان الإعلان أقوى لانتقد خدام انتقاداً أكثر عنصرية. فخدام يضعف النظام، وبالتالي فهو «ليس عدونا». ويقول كاتب الوثيقة، القائم بالأعمال ستيفن سبيتس، إنّ خدام يستطيع أن يحتفل بأنّه استطاع البقاء بعيداً عن انتقادات المعارضة

جواز سفر أردني للحفيد

حفيده إلى بريطانيا. وأضاف فليتشر أنّ القضية حُلّت حين قدّم حفيد خدام جواز سفر أردنياً مجهول المصدر. وتشير البرقية إلى أنّ عائلة خدام حاولت الحصول على جواز سفر لبناني أو سعودي للحفيد، لكنّها فشلت. وقال فليتشر إنّ جمال خدام أصبح صديقه الجيد ويريد تعريفه إلى العائلة كلها. وتحدث برقية في 1 آذار 2006 (06PARIS1296) (تنشرها الأخبار لاحقاً) عن شكوك تتعلق باحتمال عدم سماح فرنسا لخدام بالعودة إلى أراضيها إذا سافر إلى الخارج، لكن المشكلة حُلّت لاحقاً. وتتناول تلك البرقية أيضاً موضوع تصريحات خدام، إذ يدافع مسؤول ملف الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في وزارة الخارجية الفرنسية، جان فرانسوا تيبو، عن موقف الحكومة الفرنسية بطلبها من خدام التوقف عن إطلاق التصريحات من فرنسا. ويضيف أنّ فرنسا لديها تقليد في استضافة المنفيين السياسيين شرط تحفظهم على إطلاق تصريحات تخرج الحكومة الفرنسية. وقال تيبو إنّ خدام لا يعامل بطريقة مختلفة عن المنفيين الباقين ومن ضمنهم ميشال عون.

تشير برقية تعود إلى 23 أيار 2006 (06PARIS3482) إلى لقاء بين السكرتير الأول في السفارة البريطانية في باريس توم فليتشر وأحد الدبلوماسيين السياسيين، وتتناول قضية تأشيرة بريطانية لأحد أحفاد خدام. ويقول فليتشر إنّّه تشاجر مع مستشار كبير في وزارة الداخلية الفرنسية بشأن تأشيرة طلبها الحفيد. فهذا الأخير لم يستطع مغادرة فرنسا بعد أن أضعاف جواز سفره السوري، وكان يريد العودة إلى بريطانيا حيث يتابع دراسته الجامعية. ولم يكن الحفيد، وهو ابن جمال خدام، يرغب في الحصول على بطاقة إقامة فرنسية كذلك التي حصلت عليها العائلة كلها بأوامر من الرئيس شيراك إلى وزير الداخلية آنذاك نيكولا ساركوزي. ولم يعد باستطاعة السفارة البريطانية إعطاؤه تأشيرة من دون جواز سفر أو بطاقة إقامة، ما أثار غضب الفرنسيين، وفق فليتشر. ويضيف أنّ وزارته أعطته تعليمات ليقول للفرنسيين إنّ بريطانيا لا نية لديها بمساعدة خدام، ولا تريد التعاطي معه بأي شكل من الأشكال، ولن تميّزه في موضوع التأشيرات لتسهيل عودته